أدبنا القومي

بين الفصحى والعامية

للأستاذ حسين كامل عزمي

كان من أثر احتكاك مصر بالغرب الحديث أن تغيرت قيم طائفة من مثقفيها في مناحي الحياة العلمية والعملية ، فإذا نظرنا من وجهة نظر أدبية ، رأينا أن هذا الأثر ـ الاحتكاك بالغرب ـ قد أثر كثيرا في الأدب الحديث . .

ففي الربع الأول من هذا القرن ، نشب ما يشبه المعركة بين طائفتين ، أو مدرستين ، من الأدباء .. طائفة تمثل معاصرو المصريين إلى حياة أدبية قومية ، عناصرها الروح المصرية المتطورة بالاحتكاك بالغرب ، النافضة آثار الروح العربية التي مرت فيها قرونا . . وطائفة لا تزال مستمسكة بعناصر الروح العربية : لغة ، ومعنى ، وثقافة ، ومذهبا . .

وكانت الطائفة الداعية إلى التجديد يعتمل فيها ما يشبه الثورة على الأدب العربي ، وما يشبه الانتصار للآداب الغربية .

فإذا عرفنا أن أصحاب الدعوة إلى التجديد في الأدب كانوا ينتصرون لاستعمال العامية ، إذا لزم الأمر ، محافظة على روح التعبير وواقعيته ، عرفنا إلى أي حد لم يتحقق أملهم ، حتى اليوم في إيجاد وتكوين الأدب القومي المنشود الذي ينسجم مع هذه الدعوة .. اللهم إلا فيما ندر اتفاقه لأديب مصري ممتاز ، كتوفيق الحكيم مثلا ، الذي تلمس المصرية الحقة الفحة واضحة جلية تكاد تصيح في حيوية أسلوبه الرشيق ، وتشبيهاته البيئية الصحيحة ، التي نورد منها الآن : « هذه الفتاة قلبها مثل دغل البوص . » تشبيه مصري

« ووقع الممدة بخطه الذي يشبه نبش الدجاج . » تشبيه منزلي مصري

زد على ذلك غزارة التشبيه عند الحكيم ، ممثلا بهذا التعبير المصري ، فالمصريون يكثرون من استعمال حرف « زي » الذي يسبق التشبيه . . كما ترى في أدب الحكيم إقبالا على استعمال الألفاظ العامية ، خاصة في حواره . .

ومن المسلم به أن لكل فنان جمهوره ، وكلما كان جمهور الفنان عديدا كلما كان لرسالته في الحياة قيمة عملية فعالة . والفنان الحق مطالب بفهم عميق لدقائق النفس الإنسانية : خواطرها ، ومنازعها ، ونزواتها . . وهو مطالب بعد ذلك بصدق التعبير وواقعية الأداء ، بحيث يتمشى مع روح عصره . . فيخاطب الناس على قدر عقولهم وفهومهم ، وعلى قدر استعدادهم اللغوي الذي يمكنهم من استيعابه وتدبره . ثم الانتفاع بنتاجه .. واللغة أولا وأخيرا ، آلة جمهورية تستعملها الأمة كلها فيما وضعت لأجله ، ويتفاهم بها الشعب قاطبة فيما يريد ، فجمهرة كلماتها وغمرتها تتداولها ألسن الكافة ، ولا سيما الأفعال والحروف .. وكل شيء يتناوله الجمهور ويغير فيه ويبدل ، حتى يوافق ذوق المجموع ، واللغة جزء من مزاج الشعب ، فهي تختمر رويدا رويدا ، وقليلا قليلا ، كما يختمر العجين ، ولذلك كانت محاولة تعليم الناس جميعا لغة عامة (الإسبرانتو) عملا صبيانيا ، كما يقول صديقنا الفاضل الأستاذ عبد الفتاح بدوي . .

وليس التعليم ـ الذي حدثنا عنه الأستاذ كامل السيد شاهين بالعدد ٩٤٠ من الرسالة الغراء ـ مما يشوه اللغة أو يحط من شأنها وقدرها ، بل كثيرا ما يزيدها رقة وعذوبة . . فبمثل هذا التعليم المعقول المقبول يتم لنا تقريب الشقة بين الأدب والأمة ، فتختفي الهوة التي تفصل المتعلمين عن العوام شيئا فشيئا . وعلى مر الأيام تصير اللغتان اللتان نستعملهما لغة واحدة . . فإن الاختلاف اللغوي بين طبقتين في الأمة لما يضعف القومية . .

والشعر مرآة عصر قائليه ، و « ميزة الشعر العظيم عن الشعر العام أنه عصري متواضع ، يمس الاجتماع الراقي كما يمس الاجتماع

الشعبي ، وبذلك يصور انا ناحية يترفع عنها الشعر العام — ونحن نجني في كثير من الأحيان على التاريخ ، عندما نعتمد على الشعر العام في تصوير حياة المجتمع ، لأنه في برج عال رفيع لا ينحط إلى المستوى الشعبي .. » كما يقول الأستاذ شاهين ..

وبمناسبة مقال الأستاذ شاهين عن الشعر المطعم ، أذكر أن أحد أصدقائي من الأدباء البائسين ، أتاني ليلة عيد الأضحى ، منذ سنوات مضت ، يشكو لي ضيق ذات يده ، وحرمانه من تذوق لحوم الأضاحي .. ثم تركني ومضى .. فقلت :

— على لسانه — واصفاً شتى أحاسيسه :

تثـــير دوما شجوني رؤيا بدت لعيـــوني
رأيت في الحلم كبشاً معـذبا ذا أنين
يصيح في القوم : ماذا قبيل عصف المنون
فقلت للكبش : صبراً كل بزول ودبني !
قد جف ريقـك لما رأيت هول اليقين !
وان يجودوا بماء بل يذبحوا بسكون
وبعـــد جز الرءوس يزول نطح القرون !! »

° ° °

ثم التفت لنفسي بذلـــة المستكين
فـــا أكابد دوما كثـل هذا الحزين
يصر قوما شقائي فيطـربوا لأنيـــني
لمحض كوني أديبا في خســـة جدوني
ولو رأوني خروفا في قصعة .. أكلوني !
ولو رأوني سميـــنا بنشوة .. يذبحوني !!
وبعـــد فكر عميق ، وقد كواني حنيني ،
عنت لخيـــالي فنون أرسن لوبين
... جذبت حبل خروفي والقـــوم لا يبصرونني
وعنـد صخر بكوخي ربطته .. كالأمين !

° ° °

لكن خلق إلهي بسرعة لحـــوني
وصاح جاري صياحا سمعتـه كالطنين :
« أيا شويش .. الحـراس ريب شتى السجون !
خطف خروفي العزيز فياله من لعين !
أذقه طعم البـــوانى بفكه والجبين
وأنت شهم مغيث فلا تخيب ظنوني ! »

° ° °

صحوت فورا ! . أصوغ قصيدة من عيوني . . ! !

وقد سر الصديق بهذه القصيدة سرورا عظيما ، إذ وجد فيها — على حد تعبيره — شيئا من التفيس عما ينهش بقلبه المسكين . . ! فتركتها بين يديه ، بعد أن لمحت بريق الشكر في عينيه . . !

السويس

مبين كامل عزمي

مصلحة الشئون القروية

مكتب المدير العام

أعلان مناقصة

تقبل المظاريف لغاية ظهر يوم الثلاثاء ٢١ أغسطس سنة ١٩٥١ بمكتب حضرة صاحب العزة مدير عام مصلحة الشئون القروية ١ شارع محمد سعيد باشا بمصر — عن عملية تركيب شبكة مواسير الجنايين لمشروع مياه بساط كريم الدين مديرية الدقهلية .

وتطلب المواصفات والشروط من المصلحة بعد تقديم طلب على ورقة تمغة فئة ثلاثون مليما بظهر دفع مبلغ ١ جنيه بخلاف ١٠٠ مليم أجرة البريد ٨٨٤٤